

أصله، تأليف قاصد كما الأصل قاصد، قصداً بالوحي فقط، دون الآراء المختلفة المختلفة المتخلفة عن صراح الوحي.

ومن طبيعة الحال في ترتيب التأليف بعد النزول نجوماً أن كل آية أو آيات كانت تحمل معها إشارة الوحي أين مكانها من سورة وآية نزلت من ذي قبل، فكان كُتِّب الوحي يكتبونها كما يأمر النبي ﷺ بالوحي، فلذلك أصبحت سوراً مرتبة كما هي الآن في زمن النبي ﷺ وقد ختمها نفر من أصحابه عنده فصدقهم عليه وأمرهم فيه بما أمر^(١).

فالقرآن نسيج الوحي كما هو نزيل الوحي، فواقع تدوينه كما هو الآن سائد منذ مطلع نزوله وبزوغه، وله كُتِّب قرره الرسول ووجههم امكنة الآيات وترتيب السور، ثم كان يقابل بين المحفوظ في الصدور والسطور. نسيج وحيه سبحانه إذ يفرض نفسه غزارة وإيجازاً وقوة تعبير وإنجازاً، محاطاً بسور سائر من العصمة الإلهية، والفرق بينه وبين سواه من كتب الناس وسواهم كالفرق بين الله والناس وسواهم.

(١) قال الشريف المرتضى علم الهدى في جواب المسائل الطرابلسيات . . . إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن لأنه كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جمع من الصحابة في حفظهم له وأنه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث وأن من خالف في ذلك من الأمامية والحشوية لا يقيد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته وقال البلخي في جامع علوم القرآن فيما نقله عنه السيد ابن طاووس في سعد السعود ما لفظه: وإني لأعجب من أن يقبل المؤمنون قول من زعم أن رسول الله ﷺ ترك القرآن الذي هو حجته على أمته والذي تقوم به دعوته والفرائض التي جاء بها من عند ربه ويصح به دينه الذي بعثه الله إليه داعياً إليه معرفاً في قطع الحرف، ولم يجمعه ولم يصنعه ولم يحكم الأمر في قراءته وما يجوز من الاختلاف وما لا يجوز وفي إعرابه ومقداره وتأليف سورة وآيه، هذا لا يتوهم على رجل من عامة المسلمين فكيف برسول رب العالمين ﷺ! .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَبُّنَّهَا لِلنَّظَرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُمْ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

هنا تسلييات تلو بعض لخاطر الرسول الأقدس ﷺ القريح الجريح عن تسفيهم إياه وتجنينه والاستهزاء به، إنك لست في ذلك بدعاً من الرسل (١):

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾

(١) في الدر المنثور أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله ﷺ قال: رأيت قول الله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠] قال: اليهود والنصارى - قال: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] - قال: «أمنوا ببعض وكفروا ببعض».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴿ طُولُ التَّارِيخِ الرَّسَالِي قَبْلِكَ ﴾ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿ عَائِشِينَ تَارِيخِ الرَّسَالَاتِ قَبْلِكَ، فَأَنْتَ وَشِيعَتُكَ مِنَ الْآخِرِينَ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَاكَ رَسُولًا مَبْشُرِينَ وَمُنْذِرِينَ، بِمَخْتَلَفِ دَرَجَاتِهِمْ وَدَعْوَاتِهِمْ.

والشيع جمع الشيعة، جماعة مشايعة لآخرين، عائشيين حياة التبعية والهامشية ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا ﴿

والشيعة بين خيرة هم شيعة الحق على بصيرة كما كان إبراهيم ﴿وَأَتَتْ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿ وَشَرِيْرَةٌ هُمْ شِيعَةُ الْبَاطِلِ فِي تَقْلِيدِ قَاحِلِ جَاهِلٍ، وَشِيعِ الْأَوَّلِينَ ﴿ تعني الآخرين، حيث شايعوا حملة مشاعل المتاهة والضلالة وكانوا هم من محطات الرسالات لتخليصهم عن تقليدهم الأعمى في مشايعتهم رؤوس الضلالة، مهما حلقت الرسالات على سائر المكلفين من المتبوعين هنا، ومن سائر المستضعفين الذين يفتشون عن الحق، أم هم حائرون.

إلا أن القصد هنا تنظير شيع الآخرين بشيع الأولين، إنهم شرع سواء في تصلدهم على الباطل وتصلبهم القاحل.

ولماذا ﴿شِيعٍ﴾ هنا وفي الروم، و«شيعة» في مريم، أطلقت على شيعة الشر؟ لأن الشيعة في إطلاقها تعني المشايعة المطلقة دونما حد ولا برهان، وهذه باطلة وإن كان في مشايعة الحق، فإن حقها أن تكون على بصيرة وبرهنة، مهما كانت في استمراريتها مطلقة أمام المعصوم رسولاً وإماماً، فإنها بالنسبة لغير المعصوم مبرهنة على طول الخط، وللمعصوم في بدايته، ومن استمراره على بينة العصمة.

(١) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٨٣.

فالشيعة في إطلاقها دون قرينة تعني المشايعة المطلقة الفوضى، وهي بقرينة صالحة تقيد بمشايعة صالحة كما في إبراهيم وسائر الشيعة الصالحين. فحياة التبعية المطلقة هي حياة الشيعة الشريرة، وحياة التبعية المشروطة بالحق هي حياة الشيعة الخيرة، ثم حياة أرقى هي اللاتبعية إلا وحي الله أو إلهامه كالمرسلين وسائر المعصومين.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١١) :

ولقد كان من حالهم البئيسة التعيسة وجاه المرسلين ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ أيًا كان ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ دونما استثناء، اللهم إلا المؤمنين المتحرين عن إيمان، المستقلين في عقولهم، لا مستغلين ولا مستغلين، الذين يشقون أمواج الفتن بسفن النجاة وليسوا اتباع كل ناعق، بل يستضيئون بنور العلم ويلجئون إلى ركن وثيق.

ف ﴿شَيْخِ الْأَوَّلِينَ﴾ أم الآخرين في التقليد الأعمى هم شرع سواء في حياة التبعية، في تغافل العقول وتغافل القلوب وعمى البصائر وظلم السرائر، فهم بطبيعة الحال يتبعون - وجاه المرسلين - كبرائهم المجرمين، فهم الزاوية الوسطى من مثلث المحطات لهذه الرسائل، حيث يشايعون طواغيتهم الماكرين دونما بصيرة أم تبصر، ثم الزاوية الثالثة هي المتقبلة لهذه الدعوات، وقليل من الوسطاء البسطاء.

﴿كَذَلِكَ نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٢) :

السلوك هو النفاذ في طريق وسواه، وسلوكه أنفذه، مما يلمح بتعمّل في النفاذ، مهما لم يكن السالك متعملاً، حيث المجال مجاله.

وترى ماذا ﴿نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾؟ أهو الذكر المنزل؟ وهو بعيد مرجعاً لضميره، وليس سالكاً في قلوب المجرمين وهم لا يكادون لیسמעوه

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) فكيف يسلك - إذاً - في قلوبهم ولما يصل أو يتجاوز آذانهم إلى عقولهم فضلاً عن قلوبهم، ولو إنه سلك في قلوبهم لكانوا - إذاً - مؤمنين تسييراً من رب العالمين ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾^(٢) فكيف يسلكه في قلوب المجرمين، اللهم إلا سلكتها في قلوب المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زادَهُمْ هُدًى وَآانَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(٣) إزالة لسائر الحواجز آفاقية وأنفسية عن ركيزة الإيمان بعد الإيمان، ثم ﴿كَذَلِكَ نَسَلُّكَ﴾ ليس لها مشار إليه إلا ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ف ﴿كَذَلِكَ﴾ الذي نسلكه في شيع الأولين ﴿نَسَلُّكَ﴾ نحن ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ختماً على قلوبهم بما أجمت واختتمت عن تقبل الحق، أم هو الاستهزاء بالرسول الذي أصبح سنة في شيع الأولين ف ﴿كَذَلِكَ﴾ الذي كان سالكاً فيهم ﴿نَسَلُّكَ﴾ في قلوب الْمُجْرِمِينَ في شيع الآخرين وإلى يوم الدين سنة سارية في المستهزئين.

وترى كيف يسلكه في قلوبهم وهو من فعلهم؟ أم يسيرهم عليه وهو ظلم بهم؟ إنه سلك من الله بعد انسلاكه فيهم بسوء اختيارهم، ثم الله ليس ليهديهم بعد عتوهم القاصد المعاند، بل يذرهم في طغيانهم يعمهون، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٤) سلكتها إلهياً بعد سلك بشري جزاءً وفاقاً، فلأنهم كانوا مجرمين لذلك سلكتنا الاجرام في قلوبهم ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾^(٥).

فالمجرمون - ككل - الذين يعيشون حياة الإجرام، قطعاً لثمرات الحياة

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٣.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

الإنسانية، فطرية وعقلية أمأهيه؟ هؤلاء هم الذين يسلك في قلوبهم المقلوبة الاستهزاء بالرسول، فإنها خاوية عن نور الهدى بما افتعلوه، خالية عن بغية الحق، مليئة من ظلمات الهوى، فهي لا تحمل - إذاً - إلا ما يناسبها من مناخرة أهل الحق، والاستهزاء برسول الحق ف ﴿كَذَلِكَ نَسُكُّهُمْ﴾ على مدار الزمن ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ في مثلث الزمان!

ومن مخلفات ذلك السلك في بعدية البعدين:

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ﴾ (١):

فلأنهم استهزؤا بالرسول، ثم سلكناه في قلوبهم، فهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: الله والذكر والرسول (١) إذ - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ...﴾ (٢).

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ﴾ سنتهم في الاستهزاء بالمرسلين، وسنة الله فيهم إذ سلكه في قلوبهم، جمعاً بين الأولين والآخرين إلى يوم الدين في سنة السلك وسلك السنة، جزاءً جزئياً يوم الدنيا قبل يوم الدين. ونموذجاً من المكابرة المرذولة المتعنتة والعناد البغيض بعد ذلك السلك السالك فيهم:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ

أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (٥):

﴿بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ كما في غيرها «أبواب السماء» تدل على أن للسماء أبواباً، و﴿فَتَحْنَا﴾ دليل إنها مغلقة علينا، و«لو» تحيل فتحها لنا، و﴿ظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ دليل على أن في باب السماء معارج يركبها العارج، كمراكب

(١) فضمير الغائب في سلكناه راجع إلى الاستهزاء وفي به إلى الله والرسول المستهزاء به إذ لا معنى لـ «لا يؤمنون بالاستهزاء» وهذه المراجع الثلاث كلها صالحة لرجوع الضمير إليها والذكر المنزل عليه.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧.

أتوماتيكية تعرج براكبيها في جو السماء، وكما تشير إليها آيات أخرى، فللسماء أبواب إلى الجنة يعرج أهلها فيها دون الكافرين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(١) وأبواب إلى مياهها المختزنة فيها تخصصها: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾^(٢) وأبواب إلى عذابها: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(٣) وأبواب وسلاليم يستمع فيها إلى الملائكة الأعلى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلُّومٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(٤) ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾^(٥).

وأبواب يصعد منها إلى مسارج الوحي ومصارحه في السماء، رؤية وسماعاً ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾^(٦).

فلو إنهم عرجوا في هكذا باب، ورأوا ما يرى من عالم الغيب شاهداً على حق الوحي ومنه الملائكة ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ من تسكير السكر، أو السكر: الصد، فهي على أية حال لا ترى الحقيقة كماهيه، لا فحسب أبصارنا ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ في العروج والدخول والخروج وإبصار العجائب كالملائكة، سفسطة أمام الواقع المحسوس الملموس، حيث الكفر والنكران سالك في قلوبهم المقلوبة، فهي حالكة^(٦) هالكة لا تكاد تعرف الحقيقة كماهيه.

فإذا هم ينكرون ويكابرون في المحسوس الذي لا يكابر فيه أي حيوان،

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

(٢) سورة القمر، الآية: ١١.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٧٧.

(٤) سورة الطور، الآية: ٣٨.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٨.

(٦) شديدة السواد، فهالكة عن كونها قلوباً انسانية.

فبأحرى أن يكابروا في غير المحسوس، وقد يكفي تصورهم هكذا لتبدو مكابرتهم السمجة الهمجة ويتجلى عنادهم المزري المغربي، ويتأكد أن لا جدوى في جدالهم، فما عذر ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلْئِكَةِ﴾ عذراً حيث لا يصدقونهم لو فتح عليهم باب من السماء فرأوا الملائكة، حيث يقولون ﴿إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾.

ومن ذلك المشهد المنكور - لو فتح عليهم باب من السماء - إلى مشاهد ملموسة وسواها من السماء، يفتح علينا منها أبواب، ومن الأرض ومعاشها، ومن كل شيء خزائنها:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (١٦):

أترى ﴿بُرُوجًا﴾ في السماء هي كواكبها كلها؟ وهي القصور المرتفعة، وليست الكواكب كلها قصوراً! إنما هي أبنية عالية في مدن من السماء^(١) وقد زينت للناظرين، الساكنين فيها، والقريبين منها، والبعيدين عنها، حيث ينظرون إليها بعيون مسلحة أمأهيه، أم يسافرون إليها في مستقبل مجهول، وهنالك باب في السماء يعرج فيه إلى هذه البروج وسواها من مغيبات السماء، ولكن شياطين الجن والإنس محرومون عنها كما لمحت «لو» وكذلك صرحت:

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (١٧):

من إنس وجان أن يصعدوا إليها، حيث يرحمون عنها، فلا هم قادرون على الصعود لها ولا الاستماع إلى الملاء الأعلى فيها^(٢) وذلك الحفظ منه الحفظ عن التسمّع إلى الملاء الأعلى، الكائنين في بروجها، فلانهم هم

(١) راجع تفسير سورة البروج - الفرقان ٣٠ - ٢٥٨ تجد تفصيل هذه البروج.

(٢) راجع نظيرة الآية في سورة الملك والجن والصفات.

المحفوظ عنهم، إذا فالجن المؤمنون هم غير محفوظ عنهم ذلك التسمع، ولا الإنس المؤمنون أن يصعدوا إلى الملائكة الأعلى، ولكنهم أيضاً منعوا عن ذلك التسمع منذ الوحي المحمدي ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾^(١) فإن محادثات الملائكة الأعلى وحي أو إلهام لا يصلحان غير المؤمنين، ولا المؤمنين الرسل حيث ختم الوحي فضلاً عن غير المرسل!

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَالْتَّبِعْهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾^(٢) :

فإنهم ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾^(٣) دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصْبٌ﴾^(٤) .

فالشياطين عن السمع هناك معزولون، لكن المؤمنون قد يكون لهم نصيب من هذه البروج، سواء الإنس منهم والجان، إلا أن الرسالة الأخيرة صدت دونهم - كما صدت من ذي قبل لسواهم - صدات التسمع إلى الملائكة الأعلى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا﴾^(٥) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾^(٦) .

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾^(٧) :

﴿وَالْأَرْضِ... رَوَاسِيَ﴾ مذكورة في (٥٠: ٧) ثم ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾^(٨) آيات ثلاث تمد الأرض حين تكميلها وتلقي فيها رواسي، وفي فصلت ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾^(٩) (٥) (٦) .

(١) سورة الجن، الآية: ٩ .

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ٨، ٩ .

(٣) سورة الجن، الآيتان: ٨، ٩ .

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣ .

(٥) سورة فصلت، الآية: ١٠ .

(٦) قد فصلنا مد الأرض وجعل الرواسي وإلقائها في فصلت وق والرعد فراجع .

وما هو كل شيء موزون أنبتها في الأرض؟ عله، ﴿كُلِّ زَوْجٍ بِهِيجٌ﴾
 كما في «ق»: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِيجٍ﴾^(١)
 بل ما هو إلا هو فإن خلق الله كله زوج وكله بهيج، فلا زوج إلا وهو بهيج ولا
 بهيج إلا وهو زوج: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمَنْ
 أَنْفَسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
 تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾^(٤)
 وعدم التفاوت والتهافت ذاتياً وخلقياً في خلق الرحمن هو أبهج بهجة فيه.

وكل زوج بهيج موزون نابت في الأرض قد تشمل كل نباتات الأرض،
 من نبات وحيوان وانسان: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(٤) بل والمعادن
 حيث تنبت من مختلف المواد المتحولة تدريجياً إليها.

وعلَّ ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ هنا هو ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِيجٍ﴾ هناك، فإن
 كل شيء سوى الله زوج، وكل زوج هو شيء خلقه الله، وقد تلمح «من»
 التبويض هنا أن منها ما هي مخلوقة في غير هذه الأرض، من سائر الأرضين
 السبع، وسائر الكرات المعمورة، وإلا فلماذا ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا ﴿كُلِّ
 شَيْءٍ﴾ فهذه الأرض واضرابها فيها أمهات النباتات الوليدات وكلها زوج
 بهيج موزون^(٥).

ثم و﴿مَوْزُونٍ﴾ يدل على عامة الوزن في كل شيء سوى الله، وكل زوج،
 فما هو الوزن كله؟

(١) سورة ق، الآية: ٧.

(٢) سورة يس، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤.

(٤) سورة نوح، الآية: ١٧.

(٥) نور الثقلين ٢: ٦ في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩] فإن الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال الذهب والفضة والجوهر والصفير والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ وأشباه هذه لا يباع إلا وزناً.